أهمية ألفية ابن مالك وميزاتها في التراث الإسلامي

عبد الله محمود الجاموس*، د ياسر إسماعيل**، د عاصم شحادة علي***

***قسم اللغة العربية –كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة ادلب– طالب دكتوراه**

****قسم اللغة العربية وآدابها كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا**

*****قسم اللغة العربية وآدابها– كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية– الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا**

الملخص

"الخلاصة الألفية" لجمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجيَّاني المتوفى سنة 672هـ، من أشهر المنظومات النحوية وأكثرها انتشاراً بين العلماء وطلبة العلم، وذلك لما لِصاحبها – ابن مالك– من مكانة مرموقة بين العلماء، فقد كانوا يُجلّونه لِعلمه وسعة اطّلاعه، فقد كان إماماً في كثير من الفنون؛ في القراءات والحديث الشريف واللغة والنحو والصرف وأشعار العرب والفقه، ولا شك أن هذا الاهتمام الشديد بالألفية لم يأت من فراغ؛ بل لما تحمله الألفية من ميزات وخصائص ميّزتها من غيرها، فقد احتوت الألفية على براعةٍ وإبداعٍ في نَظْمِ الأبياتِ، وإبداع في ترتيبِ الأبوابِ وتنسيقِها بشكلٍ غيرِ مسبوق، والسبق في استحداثِ بعضِ المصطَلحاتِ النّحويةِ التي لم تُعرف مِن قبل، ومَزْجِها لمذاهبِ النحويين، وعدمِ التعصّبِ في الآراء والأحكام النَّحويةِ لمذهبٍ معيَّنٍ، وانفرادها بآراءَ لم تُسبق إليها، وقد أثّرت ألفية ابن مالك على نحوٍ واضحٍ في الحركة التّعليمية تأثيراً كبيرا تمَثَّلَ في حركةِ التَّأليفِ المتنوّعةِ التي كانَ مِنْ ثمرتِها شُروحٌ كثيرةٌ للألفيةِ وحواشٍ متعددةٌ على الشروح، ولأن ابن مالك بنى اختياراته النحوية على قضايا يَراها ويُؤمن بها، كقضيَّةِ الاستشهادِ بالقراءاتِ القرآنيَّةِ الشاذَّةِ، وكقضية الاستشهاد بالحديث الشريف، والاعتمادِ على روايات الحديث في إثبات القواعدِ النحويةِ، فقد رأيناه انفرد باختيارات وآراء لم يسبق إليها؛ جعلت العلماء بعده في صولة مناقشة ما بين مؤيد له ومعارض، ولذلك كله كان لا بد من دراسة ميزات هذه الألفية وبعض خصائصها؛ حيث اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتتبعت كل ما فعله ابن مالك صاحب الألفية وجعل النحاةَ بعده يقتفون أثره ويتتبعون طريقته.

الكلمات المفتاحية: مميزات الألفية – موقف العلماء–المذهب النحوي –النحو التعليمي.

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن "الخلاصـــة الألفية" لجمال الدين محمد بن عبدالله بن عبدالله بن مالك الطائي الجيَّاني المتوفى سنة **672هـــ** بدمشق من أشهر المنظومات النحوية وأكثرها انتشاراً بين العلماء والنحاة وطلبة العلم وحتى عند كثير من العامّة، وذلك لما لِصاحبها – ابن مالك– من مكانة مرموقة بين العلماء والنحاة والقضـــاة، فقد كانوا يُجلّونه ويحترمونه لِعلمه وسعة اطّلاعه، فقد كان إماماً في كثير من الفنون؛ في القراءات والحديث الشريف واللغة والنحو والصرف وأشعار العرب والفقه، مع دِينٍ وخُلُقٍ وكمال عقل وصِدق ووقار، وكذلك تأتي شـــهرة هذه الألفية لِما احتوَت عليه من عبارة ســـهلة، ونَظْم بديع، وحدود وتعريفات دقيقة، وأحكام نحوية اجتهادية بعيدة عن التقليد، ومصـــطلحات علمية دالَّة، وإلمام بالأبواب النحوية والصـــرفية، مع تنســـيق بديع لترتيب تلك الأبواب، وقواعد مبنية على أســس متينة، وما لِهذا كله من آثار ظاهرة واضــحة في الدرس النحوي بعدها، وفي المصـنفات والمؤلفات النحوية، وفي آراء النحاة الذين درسوها وأقبلوا عليها بشكل منقطع النظير .

ولِاهتمام العلماء بهذه الألفية فقد قام كثير من كبار النحاة بشـرحها والتحشـية عليها[1]، وبلغت الشروح على الألفية والحواشي ما يقرب المئة، وما زالت آثار ابن مالك وما فَعَلَهُ في الألفية حيّاً في تلك الشروح ومصنفات النحو ومؤلفاته وكتب التفسير.

ولا شـك أن هذا الاهتمام الشـديد بالألفية لم يأت من فراغ؛ بل لما تحمله الألفية من ميزات وخصائص ميّزتها من غيرها، فكان لا بد من دراسة ميزات هذه الألفية وبعض خصـائصـها، ولماذا أثّرت كل ذلك التأثير في علم النحو بعدها، وما الذي فعله ابن مالك صاحب الألفية وجعل النحاةَ بعده يقتفون أثره ويتتبعون طريقته.

1- مميزات الألفية وحديث العلماء عنها

ألفية ابنِ مالك في النَّحو (الخلاصـــة الألفية) هي أشـــهرُ الألفيّاتِ على اختلاف أنواعِها وفنونِها، وأصـبح الذّهنُ ينصـرفُ إليها حينَ يُذكر اسـمُ الألفيّةِ مجرَّداً، "وغدَتْ مِنَ الأصولِ التي لا يَستغنِي عنها الدارسونَ للنّحوِ حتى وقتنا هذا، وحَسْبُكَ دليلاً على هذا أنَّها ما تزالُ حيَّةً نابِضَةً لمْ تُضْعِفْها كثرةُ

السنينَ وتَغَيُّرُ الأحوالِ".[2]

وتأتي الشّـــهرةُ المطلقةُ لألفيّةِ ابنِ مالكٍ لما احتوت عليه من براعةٍ وإبداعٍ في نَظْمِ الأبياتِ على وزنٍ سـهلٍ وبديعٍ، وفي ترتيبِ الأبوابِ وتنسـيقِها بشـكلٍ غيرِ مسـبوق، وفي اسـتحداثِ بعضِ المصـطَلحاتِ النّحويةِ التي لم تُعرف مِن قبل، وفي مَزْجِها لمذاهبِ النحويين وعدمِ التعصّـبِ في الآراء والأحكام النَّحويةِ لمذهبٍ معيَّنٍ، وفي انفرادها بآراءَ لم تُسبق إليها، وفي جمعِها أغلبَ أبوابِ النّحوِ وكثيراً من أبواب الصّرف، وفي تنافُسِ الشُّرّاحِ والنّحاةِ على دَرسِها وتدريسِها وشرحِها بشكل لم يُسبق له مثيلٌ، "وآثارُ الجَودةِ في الألفيةِ واضـحةٌ جليّةٌ ؛ فهي التي حرّكَتْ همةَ الصّـفوةِ إلى شـرحِها، وأَذْكَتْ في المخلصـينَ مِنهم روحَ التّنافُسِ والوفاءِ؛ فكثُرَتْ بذلك شروحُها، وتنوَّعَتْ حواشيها، فقد تخطّتْ شروحُها المئةَ بكثير، وقلّما تجرَّدَ شرحٌ مِن حاشيةٍ أو تَعليقٍ".[3]

وحين وازنَ الشـــاطبيُّ[4] بين ألفيتَي ابنِ معطٍ وابنِ مالكٍ أكَّدَ عُلُوَّ كعْبِ ألفيةِ ابنِ مالكٍ وتفوُّقَها "بأوصـــافٍ حِســـانٍ، كتَثْقيفِ[5] الأبوابِ، وتصـــحيحِ القوانين، والتوفيةِ بشـروطِها، واختصـارِ الألفاظ مع كثرةِ المعاني؛ إذْ كلُّ مَن نَظَرَ فيهما يعلمُ أنها قد فاقَتْها بهذه الأوصـــاف".[6] بل قال مؤكداً اجتهادَ ابنِ مالك وعدمَ تقليدِه: "وعادةُ النّاظم في كثيرٍ مِنَ المواضعِ أن يَعتمِدَ على استِقْراءِ نفسِهِ مِنْ غَيرِ تَقليدٍ لغيره، لأنه نَصَّبَ نفسه منصب الاجتهاد المطلق".[7] وابن هشـام شـرح الخلاصـة بكتابه الموسـوم: أوضـح المسـالك إلى ألفية ابن مالك، وذكر أن الألفية صغيرة الحجم غزيرة العلم.[8]

قال الشيخ تاج الدين ابن مكتوم:

سقى الله ربّ العرش قبر ابن مالكِ سحائبَ غفران تغاديه هُطـــــــلا

فقد ضمّ شملَ النحو من بعد شـــتّهِ وبيّن أقوال النحـــــــــــاة وفصّلا

بألفيةٍ تُسْمى الخلاصةَ قد حـــوتْ خلاصة علم النحو والصرف مُكمَلا[9]

وحين يكون صـــاحب الألفية هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك جمال الدين الجيّاني الطائي الأندلسي إمام النحاة وحافظ اللغة فكفى بها فخراً ورفعة وعلوّاً، فابن مالك صرف همّته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وحاز قصب السّبق وأرْبى على المتقدمين، وَكَانَ إِمَاماً فِي الْقرَاءَات وعللها، وَأما اللُّغَة فَكَانَ إِلَيْهِ الْمُنْتَهى فِي الْإِكْثَار من نقل غريبها، والاطلاع على وحشـــيها، وَأما النَّحْو والتصـــريف فَكَانَ فيهمَا بحراً لَا يجارى، وحبراً لَا يُبَارى، وَأما أشـعار الْعَرَب الَّتِي يسـتشـهد بهَا على اللُّغَة والنحو فَكَانَت الْأَئِمَّة الْأَعْلَام يتحيرون فِيهِ، ويتعجبون من أَيْن يَأْتِي بهَا،[10] قال المكودي: "ورحم الله ابن مالك فلقد أحيا من العلم رسوماً دارسة، وبيّن معالم طامسة، وجمع من ذلك ما تفرّق، وحقق ما لم يكن تبيّن منه ولا تحقّق".[11]

بل هناك من يرى أن ابن مالك ظاهرة من ظواهر انتفاضـــة النحو، وأنه اشـتهر شهرة سيبويه، وأنه نظم نحو سيبويه ووضحه وفصله وقربه إلى أذهان الناس، وأن ألفيته جمعت قواعد النحو، ونالت شـــهرة واســـعة وحظوة كبيرة حتى حفظها أكثر المتعلمين في الشـــرق والغرب، "ولا تزال المدارس الدينية واللغوية حتى يومنا هذا تعتبر ألفية ابن مالك جزءاً مهماً من مناهجها الدراسية، يكفي الطالب أن يحفظ الألفية حتى يصـعّر خده للناس ويعدّ نفســه علاّمة في النحو، فلا يكاد يعترض معترض حتى يشـهر عليه "العلامة" بيتاً من الألفية فيفحمه به".[12]

والألفيةُ اختصارٌ للكافيةِ الشّافيةِ في النّحوِ والصّرفِ لابنِ مالكٍ نفسِه، وهذه الكافيةُ الشّافيةُ تقعُ في أربعةٍ وتسعينَ وسبعمئةٍ وألفي بيتٍ مِنَ الرّجز، فاختصرَها ابنُ مالكٍ إلى ألفِ بيتٍ تقريباً وسمَّاها (الخلاصة)، وإلى ذلك أشارَ بقوله:

أُحْصِي مِنَ الكَافِيَةِ الخُلاصَهْ كَمَا اقْتَضَى غِنىً بِلا خَصَاصَهْ[13]

وقد نَظَمَها ابنُ مالكٍ بحماةَ بِناءً على طلبِ القاضي شرفِ الدين هبةِ الله بنِ نجمِ الدينِ عبدِالرحيم الجهنيّ الحمويّ الشافعيّ الشهيرِ بابن البارزي المتوفى سنة 738هـ.[14]

وذاعت شهرةُ الألفيةِ في الأوساطِ العلميّةِ الدّولية؛ فنشرها بالعربية ومعها ترجمة بالفرنسية المستشرق الفرنسي البارون أنطوان إيزاك سلفستر دي ساسي المتوفَّى سنة 1252هـ (1838م)، وطبعت في باريس سنة 1834م، وفي القسطنطينية سنة 1887م،[15] ونُشرت موسومةً بـ "الخلاصة في النّحو" ومعها شروحٌ وتعليقاتٌ باللغةِ الفرنسيّةِ للمستشرقِ الفرنسيّ جوجويه، وطُبِعَتْ بالمطبعةِ الأدبيَّةِ ببيروت سنة 1888م في 353صفحة.[16] وتَرجمَها إلى الألمانيَّةِ معَ نَشْرِها بالعربيةِ المستشرقُ الألمانيُّ فردريخ ديتريشي المتوفى سنة 1903م، وطُبعت في برلين سنة 1852م،[17] ونشَرَها بالعربيةِ معَ ترجمةٍ بالإيطاليةِ المستشرقُ الإيطاليُّ فيتو قنصلُ إيطاليا في بيروتَ سابقاً المتوفَّى سنةَ 1954م، وطُبِعَتْ في بيروتَ سنةَ 1898م.[18]

يقولُ ممدوح عبدُالرّحمن: "وأجرينا التحليلَ على ألفيةِ ابن مالكٍ؛ لأنَّها أكثرُ شيوعاً وتداولاً بين دارسي النّحوِ في المعاهدِ العلميّةِ المختلفةِ في العالمِ العربيّ والإسلاميّ، ولأنَّ مزيداً من الشروحِ قد صُنِعَتْ لها".[19]

لقد أثّرت ألفية ابن مالك على نحوٍ واضحٍ في الحركة التّعليمية تأثيراً تَمَثَّلَ في حركةِ التَّأليفِ المتنوّعةِ التي كانَ مِنْ ثمرتِها شُروحٌ كثيرةٌ للألفيةِ وحواشٍ متعددةٌ على الشروح، وقد تعدَّدَتْ هذه الشروحُ وكَثُرَتْ حتى عَدَّها بعضُهُمْ أربعين شَرْحاً،[20] وتجاوزَ آخرون بها المئةَ.[21]

مِن أهمّ تلك الشّروحِ شرحُ النّاظمِ نفسِه واسمُه "بلغة ذوي الخَصاصة في شرح الخلاصة" وقد عَدَّه البغداديُّ مِن مُؤَلَّفاتِ ابنِ مالك[22]، وشَرْحُ ابنِه البدرِ المعروف بابن الناظم المتوفى سنة 686هـ المسمى شرحُه "الدّرّة المضيّة في شرح الألفيّة" وهو مطبوع، ويُعدُّ أوَّلَ شرحٍ عَرَفَتْهُ المكتبةُ العربيةُ وأقدمَه، وشرحُ أبي حيان (745هـ) المسمى "منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك" وهو مطبوع، وشرحُ ابن الوردي (749هـ) المسمى "تحرير الخصاصة في تفسير الخلاصة" وهو مطبوع بتحقيقي[23]، وشرحُ المرادي (749هـ) المسمى "توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك" وهو مطبوع، وشرحُ ابن هشام (761هـ) وقد شرحها مرتين: الأولى في كتابه الشهير " أوضح المسالك"، والأخرى في كتاب سماه "دفع الخصاصة عن قُرّاء الخلاصة".

ومن الشراح كذلك ابن عقيل (769هـ) وشرحُه أشهرُ مِن نارٍ على عَلَم، وما زال يُدَرَّس ويُعتمَدُ عليه في كثيرٍ مِن الجامعات والمعاهد والمدارس والأربطة، ومن الشرّاح كذلك أبو إسحاق الشاطبي (790هـ) الذي شرح الألفيّةَ في أكبر شرحٍ عُرِفَ إلى الآن، وقد صدر حديثاً منذ سنين قليلة بعنوان "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية" بتحقيق سبعة من حذاق التحقيق في عشرة مجلدات، وكذلك المكوديُّ (801هـ) والسيوطي (911هـ) والبعلي[24] (709هـ) والجزري (711هـ) والإسنوي[25] (763هـ) وغيرهم كثير جداً.[26]

والحواشي على تلك الشروحِ والدراساتِ التي على تلك الحواشي أكثرُ، فعلى سبيلِ المثالِ أحصى الدكتورُ غريب نافع ثلاثَ عشرةَ حاشيةً لشرح ابنِ الناظم وحدَه، وأحصى خمسَ دراساتٍ على شرح المراديّ، أما أوضحُ المسالك لابن هشام فكان له النصيبُ الأوفرُ مِن هذه الحواشي والدراساتِ، إذْ بلغت أربعاً وعشرين.[27]

ومن تلك الحركةِ العلميّةِ التي أحدثَتْها الألفيةُ أيضاً كتبُ إعرابِ الألفيةِ وكتبُ التعليق عليها، ومؤلفاتٌ انتقدَتْها واستفادَتْ مِنها في آنٍ واحدٍ، وكتبٌ تناولَتْ قضايا داخلَ

الألفية، وبحوثٌ تناولَت مصـــطلحاتِ الألفية، وأخرى تحدثَتْ عن قواعدِ الألفيةِ، وثالثةٌ بَحَثَتْ في أبواب الألفية، ورسائلُ جامعيةٌ كثيرةٌ جداً متعلقةٌ بالألفية من جانبٍ أو آخرَ.

2- المذهب النحوي لابن مالك في الألفية

ابن مالك كغيره من النحاة أصـولهم النحوية التي اعتمدوا عليها معلومة وبعضـها متفق عليه كالســماع والقياس، وبعضـــها مختلف فيه كالإجماع والعلة النحوية والتقدير وغيرها، غير أنَّ اختياراتِ ابنِ مالكٍ ظلَّتْ لها ميزةٌ خاصـــةٌ؛ لأنَّ كثيراً منها مبنيٌّ على قضايا يَراها ويُؤمن بها، كقضيَّةِ الاستشهادِ بالقراءاتِ القرآنيَّةِ الشاذَّةِ، وكقضية الاستشهاد بالحديث الشـــريف، والاعتمادِ على روايات الحديث في إثبات القواعدِ النحويةِ، وهي القضية الكبرى، وكذلك موقفه من الضرورةِ الشعريةِ.

ونلاحظ أنَّ كثيراً مِنَ النحاة يسـتشـهدون بالحديث الشـريف في بعض كتبهم وبالقراءات القرآنية ويســتأنســون بها، لكنَّ الذي مَيَّزَ ابنَ مالك وجعلَ بعضَ النحاة كأبي حيّان مثلا ينتقده أنه جعل هذه الأدلةَ السـماعيةَ هي الأصـل، واعتمدَ عليها اعتماداً كلّياً، وجعل لها الأولويَّةَ، وجعل من الحديث الشـــريف ورواياته أصـــلاً ليَبنيَ عليها قواعدَهُ وأحكامَهُ، "وهو يُعَدُّ أولَ مَنِ استكثر مِنْ رواية الحديثِ في النَّحوِ، وحقًّا كانَ يَستشـهد به مِن قبله في مصـــنفاتهما ابنُ خروف والســهيليُّ، بل كان يســتشـــهدُ به أحياناً أبو علي الفارسي وابنُ جني وابنُ بَرّي المصري،[28] ولكنه هو الذي توسَّعَ في الاستشهادِ بِهِ".[29]

ومسألةُ الاستشهاد بالحديث الشريف ورواياتِهِ سَبَقَ البحثَ فيها عددٌ مِنَ العلماءِ والنحاةِ،[30] ويمكنُ تلخيصُ المسألةِ والخلافِ حولهَا في الأقوالِ الآتية:

الأولِ: جواز الاســتدلالِ بالحديث الشــريف في النحو مطلقاً، وذهبَ إلى هذا القولِ الســيرافي، وابنُ عصــفور، وابنُ مالك، وابنُ هشــام، وانتصــرَ لهذا المذهب البدرُ الدماميني،[31] وكذا العلامةُ ابنُ الطيّبِ.[32]

الثاني: مَنْع ذلكَ مطلقاً، وذهبَ إليه أبو حيان[33] وابنُ الضائع.[34]

وقد استند المانعون إلى ثلاثِ حُجَجٍ:

أ–أنّ المُحَدِّثين أجازوا الروايةَ بالمعنى، وعلى هذا فمِن غيرِ المؤَكَّدِ أن يكونَ هذا الحديثُ بِلفظهِ مِنْ كلامِ النبي صلى الله عليه وسلم، فقد يكونُ قد تصرَّفَ فيه الرواةُ ونقلوا الحديثَ بالمعنى، وعليه فلا يُؤْمَنُ اللَّحْنُ.

ب–وقوع اللحن كثيراً في الأحاديث، لأنَّ كثيراً مِنَ الرواة كانوا مِنْ غير العربِ، وربما أرادوا روايةَ الحديث بالمعنى فيقعون في الخطأ واللحنِ.

ج–أنَّ النحاةَ المتقدمين لم يَستشهدوا بالحديثِ الشريف في إثباتِ الأحكامِ النحويةِ، بل اكتفوا بالقرآن الكريم وكلام العرب شعرِها ونثرِها.

وقد أجاب المجيزون مِنَ الفريق الأولِ عن هذه الحججِ بالآتي:

– أنَّ النقلَ بالمعنى إنما كان في الصَّدْرِ الأوَّلِ قبلَ التدوينِ في الكتب، وقَبْلَ فسادِ سليقةِ النَّاسِ وضياعِ الفصاحة، وهذا النَّقْلُ بالمعنى –إن وُجد– فغايتُهُ تبديلُ لفظٍ بلفظٍ يصحُّ الاستشهادُ به، لأنه مِن فِعْلِ فصيحٍ يَصِحُّ الاستشهادُ بكلامه أصلاً، قال ابنُ الصَّلاح[35]" ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْخِلَافَ لَا نَرَاهُ جَارِيًا –وَلَا أَجْرَاهُ النَّاسُ فِيمَا نَعْلَمُ– فِيمَا تَضَمَّنَتْهُ بُطُونُ الْكُتُبِ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُغَيِّرَ لَفْظَ شَيْءٍ مِنْ كِتَابٍ مُصَنَّفٍ وَيُثْبِتَ بَدَلَهُ فِيهِ لَفْظًا آخَرَ بِمَعْنَاهُ، فَإِنَّ الرِّوَايَةَ بِالْمَعْنَى رَخَّصَ فِيهَا مَنْ رَخَّصَ لِمَا كَانَ عَلَيْهِمْ فِي ضَبْطِ الْأَلْفَاظِ، وَالْجُمُودِ عَلَيْهَا مِنَ الْحَرَجِ وَالنَّصَبِ، وَذَلِكَ غَيْرُ مَوْجُودٍ فِيمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ بُطُونُ الْأَوْرَاقِ وَالْكُتُبِ، وَلِأَنَّهُ إِنْ مَلَكَ تَغْيِيرَ اللَّفْظِ فَلَيْسَ يَمْلِكُ تَغْيِيرَ تَصْنِيفِ غَيْرِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[36]."

– القولُ بوقوعِ اللحن في الأحاديث الشريفة بسبب الأعاجمِ غيرُ دقيقٍ وغيرُ صحيحٍ، وما يُتَوَهَّمُ أنه لحنٌ وَقَعَ في ألفاظِ بعض الأحاديث يمكنُ تخريجُهُ على لغةٍ عربيةٍ مشهورةٍ، أو وجهٍ مِنَ الإعرابِ صحيحٍ ومقبولٍ، ثم إنَّ كثيراً مِن أشعار الأدباء التي يتناقلونها كان من رواتها أعاجم، فَلِمَ يقبلونها ولا يقبلون الحديثَ؟! "وهل في وُسعهم أن

يذكروا لنا مُحَدِّثاً مِمَّنْ يُعتَدُّ بهِ يمكنُ أن يوضعَ في صَفِّ (حَمَّادٍ الراوية) الذي كانَ يكذبُ ويَلْحَنُ ويَكْسِـــرُ، ومع ذلك لم يَتورَّعِ الكوفيون ومَنْ نَهَجَ منهجَهم عن الاحتجاج بمروياته، ولكنهم تحرجوا في الاحتجاج بالحديث".[37]

هذا معَ العلم أن الله ســـبحانه قيّضَ للحديث الشـــريف جهابذةً مِن المحدثين يَســـبرون أغوارَهُ، ويبحثون في رواته، ويأخذون بالظِّنَّة في رَدِّ مروياتِهِمْ، ويُدقِّقون في كُلِّ لفظةٍ وكلمةٍ منهُ. وعدم استشـهادِ قُدامى النحويين بالحديث الشـريف – إنْ صَـحَّ – ليس لأنهم يرون منعَ ذلك، بل ربما لِقِلَّةِ معرفتهم بالحديث، وضـعفِ ممارسـتهم، وقلةِ خبرتهم بالصحيح منه والضعيف، فليس كلُّ نحوي مُحَدِّثاً.

هذا إن صـحّ النقلُ عنهم جميعاً في ذلك، ولا يصـحُّ، فهذا العلامةُ ابنُ الطيب عَدَّ مِن أصـحاب المذهب المجيزِ للاستشـهاد بالحديث الشريف في النحو: الجوهريَّ وابنَ سيده وابنَ فارس وابنَ خروف وابنَ جني وابنَ برّي والسهيليَّ وغيرَهم.[38]

وهذا أبو الحســن الشــاري ينتقد ما فعله الزبيديُّ حين اختصــرَ كتاب العين للخليل بأنَّه أخلَّ فيه حين حَذَفَ شـواهدَ القرآن الكريم والحديثِ الشـريفِ وصـحيح أشـعار العرب منه،[39] فدلَّ على اســتعمال الخليل للأحاديث النبوية كشــواهدَ في كتابه العين، وحتى سيبويه في "كتابه" ذكرَ ستةَ نصـوص مِنَ الأحاديث الشريفة[40] دونَ الإشارةِ إلى أنَّها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، كحديث (كل مولود يولد على الفطرة..)،[41] والمبردُ أيضـاً صَـرَّحَ باسـتشـهادِهِ بالحديث،[42] والعكبريُّ له كتابٌ عنوانه: إعراب الحديث النبوي،[43] وغيرُهم كثيرٌ. ثمَّ لمـاذا يترفّع النحويون عمَّـا قَبِلَـه اللغويون مِنَ الانتفـاعِ بالحديثِ الشريفِ، والاستقاءِ مِنْ يَنبوعه الصَّافي.

القول الثالث: التفصـيل في ذلكَ والتوسـط، فيرى أصـحابُ هذا القولِ أنَّهُ يجوزُ الاحتجاجُ بالأحاديثِ التي اعتنَى رواتُها بنقلِ ألفاظِها كالأمثالِ النَّبويةِ، وككتابِهِ صـلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ إلى همدانَ، أمَّا التي عُرِفَ أنَّ رواتَها قدْ نَقلوها بالمعنى فلا يُحْتَجُّ بِها، ومِمَّنْ قالَ بِهذا القولِ السيوطيُّ.[44]

وممن نهجوا هذا المنهجَ مِن التوسط الشاطبيُّ في المقاصد الشافية،[45] ومِن المعاصرين الأستاذُ الشيخ محمد الخضر حسين عضوُ المجمع اللغوي في القاهرة، حيث قدَّمَ بحثاً في هذه المسألة بعنوان "الاستشهاد بالحديث في اللغة"،[46] وبعد مناقشةٍ لآراءِ النحاةِ تَوصَّلَ إلى النتائج الآتية:

– من الأحاديث ما لا ينبغي الاختلافُ في الاستشهاد به، وهو ستة أنواع:

1–ما يُروى بقصد الاستدلال على فصاحتِهِ عليه الصلاة والسلام، كقوله: ((حَمِيَ الوَطِيسُ))،[47] وقوله: ((الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ)).[48]

2–ما يُروى مِنَ الأقوال التي كان يُتَعَبَّدُ بها أو أَمَرَ بالتعبُّدِ بها كألفاظ القُنوت والتحياتِ وما إلى ذلك.

3–ما يُروى شاهداً أنه كان يخاطِبُ كلَّ قوم من العرب بلغتِهم.

4–الأحاديثُ التي وردَتْ مِن طُرُقٍ متعددةٍ واتَّحَدَتْ ألفاظُها.

5–الأحاديثُ التي دَوَّنَها مَنْ نَشَأَ في بيئةٍ عربيةٍ لم يَنتشر فيها فسادُ اللغة العربية، كمالك بن أنس والشافعي وغيرهما.

6–ما عُرف مِن حال رواته أنهم لا يُجيزون روايةَ الحديث بالمعنى مثلِ ابن سيرين والقاسم بن محمد وغيرهما.

ومن الأحاديث التي لا ينبغي الاختلافُ في عدم الاحتجاج بها: الأحاديثُ التي لم تُدوَّنْ في الصَّدرِ الأوَّلِ، وإنما تُروى في كتب بعض المتأخرين.

ومن الأحاديث التي يسوغُ فيها الاختلافُ في الاستشهاد بها: ما يُروى لفظُه على وجهٍ واحدٍ، أو اختَلَفَت الروايةُ في بعض ألفاظه.

وأقولُ: إنَّ القولَ بجواز الاحتجاج بالحديث الشريف المُدَوَّنِ الذي صحَّ نقلُه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه هو ما تدل عليه القرائنُ وتُجيزه، ولذلك تَأثَّرَ

أكثرُ مَن جاء بعدَ ابن مالك بمذهبه هذا في أصـــوله النحوية، فامتلأت كتبُهم بالأحاديث الشريفةِ والاستدلالِ بها، وما كتبُ شروحِ الألفية الممتلئةُ بالأحاديث النبوية إلاَّ خيرُ دليلٍ على هذا التأثير الذي أحدثَهُ ابنُ مالك في هذه القضـــية، وأَذْكُرُ منها على ســـبيل المثال شرحَ ابن الناظم، فقد حوى أكثرَ مِن خمسينَ حديثاً شريفاً، وكذا المقاصدَ الشافيةَ للشاطبي حوى أكثر مِن مئةٍ وخمسـين حديثاً شـريفاً. وعندَ النظر في كتب النحو مِنْ غير الشـروح نجدُ في ارتشـــاف الضـــرب لأبي حيان أكثرَ مِن خمســين حديثاً وأثَراً، وفي مغني اللبيب لابن هشام أكثرَ مِن مئةِ حديثٍ وأثَرٍ، وفي همع السيوطي أكثرَ مِن مئةٍ وخمسين شاهداً مِن الأحاديثِ الشـــريفةِ، وإذا قارنتَ هذا الكَمَّ مِنَ الأحاديثِ الشـــريفةِ بعدَ ابنِ مالك بكتُب مَنْ سَلفهُ ستجدُ الفرقَ واضـحاً، ففي الكتاب لسيبويه مثَلاً لا تجد إلا ستةَ أحاديث، وفي المسائل العضديات للفارسي تجدُ تسعةَ أحاديث، وفي اللباب للعكبري الذي هو قريبٌ مِنْ عصرِ ابنِ مالك تجدُ عشرةَ أحاديثٍ فقط، مما لا يدعُ مجالاً للشك أنَّ ابنَ مالكٍ في ألفيتِه قد أثَّرَ تأثيراً كبيراً مِن خلالِ أصولِهِ النحوية وخاصة في الاستشهاد بالحديث الشريف في مَنْ بعدَهُ.

وقد كان لاختياراتِ ابنِ مالكٍ صـــدىً كبيرٌ في الدرس النحوي وبينَ علمائِهِ، ما بينِ مؤيدٍ –وهم الأكثرُ– وما بين مُعارضٍ، واهتموا بتلك الاختياراتِ اهتمامًا بالغًا، فلا تكادُ تُذْكرُ مسألةُ نحوٍ في كتاب إلا كان رأيُ ابن مالك بارزاً ومُسَوَّداً في تلك الصفحات، يُناقَشُ ويُســتَدَلُّ له، ويُنقَلُ عنه، ويُســتَنبطُ مِن كلامه، أو يعارَضُ ويُنتقَدُ ويُردُّ عليه، وما كُتُبُ الشـروح –فضـلاً عن غيرها– إلا ميدانٌ فسـيحٌ لآراءِ ابن مالك واختياراتِهِ وانفراداتِهِ، ومثارٌ لاختلاف النحاة حولَ آرائه وتجادلِهم وتجاذبِ الأدلة بينَهم، الأمرُ الذي أثّرَ تأثيرًا بالغاً في حركة النحو خصـوصـاً، والحركةِ العلميةِ بعدَ ابن مالك عموماً. هذا، فضـلاً عن تأثُّرِ كثيرٍ مِنَ النحاةِ بعدَ ابن مالك بآرائه وانفراداته تأثراً مباشـــراً، بحيث يتبنون آراءَه، ويقولون بها، سواء أشاروا إلى ذلك أم لم يشيروا، وقد كتب بعض الأساتذة كتباً ومقالاتٍ حولَ هذه الظاهرة، أعني الاستفادةَ المباشرة مِن ابن مالك، والتأثرَ به مع الإشارة لفضـلِهِ وأنه صاحب الرَّأْيِ الأصلي، أو عدم الإشارة.[49]

3- أثر الألفية في النحو التعليمي العربي

لقد أدرك العلماء الأولون أهمية تعلم النحو وتعليمه لأبناء العرب أولا الذين بدأت تدخل في ألسنتهم العجمة حين اختلطوا بغير العرب عند انتشار الإسلام، ولأبناء الأعاجم الذين بدؤوا بالدخول إلى الإسلام أفواجاً، ويريدون تعلم لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فكان أن نهض علماء النحو ومؤسسوه الأولون باستقراء لغة العرب وتقريب أصولها وجمع المتشابهات في الحركات والسكنات ليخرج لنا علم النحو الذي جاء لخدمة الإسلام العظيم وكتاب الله الكريم.

بدأ التدوين في هذا العلم البِكر على أيدي جهابذته؛ الخليل بن أحمد وسيبويه والمبرد وابن السراج، ثم تلاهم ابن جني والفارسي وغيرهم كثير، حتى وصل الأمر في عصر ابن مالك إلى ضرورة الكتابة في النحو التعليمي، ذلكم أن النحو من جهة فيه صعوبة على أبنائه فضلا عن غيرهم، ومن جهة أخرى هو الترياق الشافي لمن أراد استقامة لسانه في كلامه، واستقامة بَنانه في كتابته:

النحو يبسط من لسان الألكَنِ والمرء تكرمه إذا لم يلحنِ

وإذا طلبتَ من العلوم أجلَّها فأجلُّها منها مقيم الألسنِ[50]

وألفية ابن مالك تُعتبر من هذا النحو التعليمي الذي أراد الناظم فيه تبسيط مسائل النحو للطلاب، وتلخيصها في قواعد مختصرة بأمثلة سهلة في نظمٍ يسهل حفظه، وأبواب قصيرة تلمّ شعث النحو وتقرّب أباعده:

تقرّب الأقصى بلفظ موجزِ وتبسط البذل بوعد منجزِ

ويمكن أن نتبيّن بعض مظاهر النحو التعليمي في ألفية ابن مالك في الآتي:

1- تبسيط العبارة: فعبارات الألفية تميّزت بالسهولة والبعد عن التكلف في الصياغة، فتجدها قريبة المأخذ سهلة التناول، يحسن قراءتها كلّ أحد ولا يعيى بها، انظر مثلاً عند تعريف الكلام قوله:

كلامنا لفظ مفيد كاستقِمْ واسم وفعل ثم حرفٌ الكلِمْ

وانظر في حديثه عن المبتدأ والخبر يقول:

مبتدأٌ زيدٌ وعاذرٌ خبرْ إن قلتَ زيدٌ عاذرٌ من اعتذرْ

وعند تعريفه الخبر قال:

والخبر الجزء المتمُّ الفائدهْ كاللهُ بَرٌّ والأيادي شاهدهْ

وانظر في المقابل تعريف ابن الحاجب للخبر حيث قال "الخبر: هو المجرد المسند المغاير للصفة المذكورة"[51]، يعني صفة المبتدأ، ويعرفه ابن السرّاج فيقول" الاسم الذي هو خبر المبتدأ هو الذي يستفيده السامع ويصير به المبتدأ كلاماً، وبالخبر يقع التصديق والتكذيب"[52]، تجد السهولة في العبارة لدى ابن مالك في التعريف والقرب من الأفهام أكثر من عبارتي ابن الحاجب وابن السرّاج.

2- البعد عن الخلافات:

فابن مالك يذكر مسائل النحو دون الدخول في الخلافات المعروفة بين النحاة، خاصةً نحاة البصرة والكوفة، فهو يذكر ما يراه الصواب في اجتهاده ونظره، ولو كانت المسألة خلافية بين النحاة، انظر مثلا مسألة رافع المبتدأ والخبر، هناك خلاف بين النحاة في رافع المبتدأ والخبر، فمنهم من قال إن المبتدأ رفع بالابتداء، وبعضهم قال رُفع بالخبر كما رفع الخبر بالمبتدأ، وقال بعضهم: إن الخبر رُفع بالابتداء والمبتدأ،[53] لكن ابن مالك حين جاء إلى هذه المسألة حسمها ببيت واحد قال فيه:

ورفعوا مبتدأ بالابتدا كذاك رفْع خبر بالمبتدا

بهذه البساطة انتهى من هذه المسألة، ولم يذكر الخلاف بين النحاة فيها تخفيفاً على طلاب النحو ومتعلميه ولتسهيل النحو لهم لفهمه وحفظه.

مثال آخر: في باب المدح والذم اختلف النحاة في "نِعْم وبِئس" هل هما اسمان أم فعلان؟ فذهب الكوفيون إلى أنهما اسمان، وذهب البصريون إلى أنهما فعلان، وساق كل فريق أدلته في ذلك، وأدلتهم ونقاشهم مبسوط في كتب النحو[54]، ابن مالك اكتفى بذكر ما يراه راجحا فقال:

فعلان غير منصرفينِ نِعم وبئس رافعين اسمينِ

وأحياناً يشير ابن مالك إشارة إلى بعض الخلاف دون التعمق في بسط الخلاف، انظر مثلاً في مسألة فصل الضمير أو وصله في "سلنيه وكنته وخلتنيه" حيث أشار ابن مالك إلى وجود خلاف في المسألة، وأنه اختار الوصل فيها بينما اختار غيره الانفصال فتصبح: سلني إياه، وكنت إياه، وخلت إياه، قال ابن مالك:

وصِلْ أو افصل هاء سلنيه وما أشبهه في كنته الخُلف انتمى

كذاك خِلتنيه واتصالا أختارُ، غيري اختار الانفصالا

وعند حديثه عن سوى وغير من أدوات الاستثناء، وبعد حديثه عن أحكام "غير" أشار إلى أن الحديث عن "سوى" كالحديث عن "غير"، وأشار إلى الخلاف في ذلك بكلمة واحدة حيث قال:

ولِسِوىً سُوىً سواء اجعلا على الأصح ما لِغيرٍ ذُكرا

فانظر إلى حسن إشارته ولطف عبارته في ذكر الخلاف بما لا يعكّر رواق المسائل ولا يتخمها أو يُذهب بهاءها بذكر الخلافات.

3- جمال الإيقاع الشعري:

من المعروف أن الشـــعر أســـهل حفظاً من النثر، والألفية منظومة على بحر الرجز، وهو أكثر بحور الشـعر تقلّباً فلا يبقى على حال، بل قيل إن اسـم الرّجز مأخوذ من الناقة التي يرتعش فخذاها، فالملل والســـآمة منفية عن هذا البحر الذي يعطي جمالاً للأبيات ومحبة للناس لها وإقبالاً عليه. وقد اســتُخدم هذا البحر الشــعري في نظم العلوم الدينية والشرعية في العموم، وذلك لسهولة حفظه، وسلاسة نظمه، وهذا النوع من النظم: الشـــعر التعليمي، نظم علمي يخلو من العواطف والأخيلة، ويقتصـــر على الأفكار، والمعلومات والحقائق العلمية المجردة.

ولذلك كان هذا البحر من الأسباب الرئيسة في انتشار الألفية انتشاراً واسعاً جداً، ومن أسباب كثرة حفّاظها والمقبلين عليها.

4- اختصار القواعد النحوية:

من يقرأ الألفية يجد أن ابن مالك حاول جمع شتات النحو بعبارات جامعة محددة مختصرة أصبحت كالقواعد لشدة وضوحها ودقّتها وصوابها، انظر مثلاً عند حديثه عن الضمائر وما يتصل منها وما ينفصل أطلق عبارة جامعة أصبحت قاعدة يُبنى عليها ويُنطلق منها، حيث قال:

وفي اختيارٍ لا يجيء المنفصلْ إذا تأتّى أن يجـيء المتّصلْ

وانظر إلى تعريفه الظرف كيف جاءت عبارته متضمنة قاعدته ومثاله باختصار منظوم بديع حيث قال:

الظرف وقتٌ أو مكانٌ ضُمِّنا "في" باطّرادٍ كهُنا امكُثْ أزمُنا

وحين الحديث عن الظرف المتصرف أعطى علامة مميّزة على معرفته فقال:

وما يُرى ظرفا وغير ظرف فذاك ذو تصرّف في العُرفِ

ومن مِنّا لا يحفظ حروف الجرّ التي جمعها ابن مالك في بيتين بديعَين قال فيهما:

هاك حروف الجر وهي مِنْ إلى حتى خلا حاشا عدا في عَن على

مذ منذ رُبّ اللام كي واوٌ وتا والكاف والبا ولعلّ ومتى

هذه العبارات الموجزة الجامعة أصبحت كالقواعد المسلّمة عند المتعلمين، وهي في أذهانهم محفوظة معلومة سهلة التداول والاستحضار، وطريقة ابن مالك في صياغتها صياغة دقيقة موجزة جامعة أعطت لها القيمة العلمية العالية والسّلِسة في آنٍ واحد، ومِن ثَمّ أثّرت إيجابيّاً بلا شك في تعلّمها وتعليمها وانتشارها لدى الدارسين، بدليل أنك تسمعها من الكثير من طلبة العلم لكثرة انتشارها.

5- حسن ترتيب الأبواب النحوية:

الحديث عن الأبواب النحوية وترتيبها لدى ابن مالك في الألفية له فصل خاص به أتحدث فيه بالتفصيل والمقارنة والتحليل عن طريقة ابن مالك في ترتيب الأبواب النحوية في الألفية وكيف أنه سلك طريقاً خاصاً به قائماً على العوامل والمعمولات، وكيف أن طريقته ألهمت النحاة بعده فسلكوها متبعين مقتدين به في ذلك.

هذه الطريقة في ترتيب الأبواب النحوية أكثر تبسيطاً للقواعد النحوية وأقربها لتعليم النحو بطريقة أسهل، وهي "نظرة تعليمية مناسبة للفكر لما فيها من ترابط بين المسائل في الأبواب، وذلك يساعد المتعلم على الترتيب الذهني وعلى التذكر أيضاً"،(55) فترى ابن مالك يعقد أبواباً للعوامل ويربطها بالمعمولات، فيعقد أبواباً للوظائف النحوية كالمبتدأ والخبر والفعل والفاعل ونائب الفاعل وحروف الجر ... إلخ، بعد تقديمه للمتعلم بتمهيد يبيّن له الفرق بين الاسم والفعل والحرف وما يميز كلا منهم، ليبني قاعدة سليمة يبني عليها الأبواب الأخرى بصورة متسلسلة منطقية ساعدت كثيراً في إقبال المتعلمين على تلك الخلاصة الألفية، في حين كان من أسباب بعد طلبة العلم عن أمّات كتب

النحو ككتاب سيبويه ومقتضب المبرد وغيرهما هو صعوبة البحث فيها لاختلاط كثير من أبواب النحو ببعضها حيث الإسهاب هو طريقة الأقدمين في الكتابة.

لقد آمن علماء النحو وطلبته بالخلاصة الألفية نموذجاً للشعر التعليمي لما امتازت به مما ذكرت سابقاً، ولقربها من الأفهام وسهولتها في التعليم، فأقبلوا إليها حفظاً وشرحاً وتعليقاً وتحشيةً وإعرابا لأبياتها وتدريساً لها لطلابهم في المدارس والمعاهد ودور العلم، وغَدَتْ ألفيّةُ ابن مالك مدرسةً مستقلةً بذاتها رسَمَتْ مناهجَ الدراسةِاللغوية في أقاليمَ كاملةٍ وفقَ قواعدِها وضوابطِها.

وهذا الأمر واضح جداً؛ ففي كثيرٍ من البلدانِ العربيّةِ أو مَن يتعلمُ أهلُها العربيةَ والنحوَ نجدُ ألفيةَ ابنِ مالكٍ منارةً وسراجاً لِمُذكّراتِهمْ وتآليفِهمْ وتعليمِهمْ وشروحِهِمْ، يَنهلون مِن مَعينِها، ويَقتَفون آثارَها، فعلى سبيلِ المثالِ نجدُ كثيراً مِن أبناءِ موريتانيا يَحفظون الألفيةَ ويَتنافسون فيها، وقد كتبَ يَحيَى بنُ البراءِ بحْثاً علميّا بعنوان: ألفية ابن مالك وأثرها في الثقافة الموريتانية، يتحدث فيه عن ثقافة الموريتانيين عموماً لا سيّما النحوية، وذكر فيه أن الموريتانيين أخذوا بالمنهج البصري في النحو على شِرعة ابن مالك في ألفيّته وكتبه.[56]

وكذا في سلطنة عُمَان مثالٌ آخرُ؛ فيؤكد محمد جمال صقر في مقالٍ له أنَّ منظوماتٍ نحويةً عمانيةً قد أُلّفت على غِرارِ ألفيّةِ ابنِ مالكٍ وعلى دربِهِ، وخَرَجَتْ من النَّمط الذي خَرَجَتْ منه منظومةُ ابنِ مالك.[57]

ويقول عبده الرّاجحيّ "وابنُ مالك هو صاحبُ الألفيّةِ المشهورةِ التي ظلَّتْ مسيطرةً على مناهجِ التّدريسِ النّحويّ حتى وقتِنا الحاضرِ".[58] ويضيف "بل إن الألفيةَ، ومؤلّفُها أندلسيُّ الأصلِ، هي التي سادَتْ تَدريسَ النّحوِ في المشرقِ"،[59] ويقول العلامةُ سعيدٌ الأفغانيُّ في حديثه عن ابنِ مالكٍ "ورُزِقَتْ ألفيتُهُ الشهرةَ في التعليمِ، فما زالَ الطلبةُ يبدؤونَ في استِظْهارِها منذ ثمانمئةِ سنةٍ حتى اليوم، وشُرِحَتْ شروحاً كثيرةً أشهرُها شرحُ ابن عقيل، وَوُضِعَتْ على الشروحِ حواشٍ كثيرةٌ، وصارتِ الألفيةُ مدارَ التّدريسِ والتأليفِ،

يَتبارى المؤلفون في شرحِها، ومَنْ أُعجِبَ مِنَ المؤلِّفينَ بِشَرحٍ مَّا وَضَعَ عليه حاشيةً تُبسِّطُ مسائلَه".[60]

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1-ألفية ابن مالك المسمّاة (الخلاصة) من أشهر الألفيات على اختلاف أنواعها وفنونها.

2-احتوت الألفية على براعةٍ وإبداعٍ في نَظْمِ الأبياتِ، وإبداع في ترتيبِ الأبوابِ وتنسيقِها بشكلٍ غيرِ مسبوق، واستحداثِ بعضِ المصطَلحاتِ النّحويةِ التي لم تُعرف مِن قبل، ومَزْجِها لمذاهبِ النحويين وعدمِ التعصّبِ في الآراء والأحكام النَّحويةِ لمذهبٍ معيَّنٍ، وانفرادها بآراءَ لم تُسبق إليها.

3-أثّرت ألفية ابن مالك على نحوٍ واضحٍ في الحركة التّعليمية تأثيراً تَمَثَّلَ في حركةِ التَّأليفِ المتنوّعةِ التي كانَ مِنْ ثمرتِها شُروحٌ كثيرةٌ للألفيةِ وحواشٍ متعددةٌ على الشروح.

4-ابن مالك بنى اختياراته النحوية على قضايا يَراها ويُؤمن بها، كقضيَّةِ الاستشهادِ بالقراءاتِ القرآنيَّةِ الشاذَّةِ، وكقضية الاستشهاد بالحديث الشريف، والاعتمادِ على روايات الحديث في إثبات القواعدِ النحويةِ، وهي القضية الكبرى، وكذلك موقفه من الضرورةِ الشعريةِ.

5- تُعد ألفية ابن مالك من النحو التعليمي الذي أراد الناظم فيه تبسيط مسائل النحو للطلاب، وتلخيصها في قواعد مختصرة بأمثلة سهلة في نظمٍ يسهل حفظه، وأبواب قصيرة تلمّ شعث النحو وتقرّب أباعده، وكان له ما أراد، وانتشرت انتشاراً واسعاً جداً قديماً وحديثاً.

المصادر والمراجع:

1. الأستراباذي، محمد بن الحسن الرضي. (1996م). شرح الكافية، حسن الحفظي ويحيى بشير (تحقيق). الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود.
2. إسماعيل بن محمد باشا الباباني البغدادي (1982م.هدية العارفين، بيروت: دار الفكر.
3. ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري أبو البركات. (1987م). الإنصاف في مسائل الخلاف، محمد محيي الدين (تعليق). بيروت: المكتبة العصرية.
4. البغدادي، عبد القادر بن عمر. (1998م). خزانة الأدب ولب ألباب لسان العرب، (ط1). محمد نبيل طريفي وإميل بديع يعقوب (تحقيق). بيروت: دار صادر ودار الكتب العلمية.
5. أبو حيان (2002م). التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، (ط1). حسن هنداوي (تحقيق). دمشق: دار القلم.
6. الذهبي، تاريخ الإسلام، (ط1)، عمر عبد السلام تدمري (تحقيق)، بيروت: دار الكتاب العربي.
7. الزركلي: خير الدين (1980م).الأعلام، (ط5)، بيروت: دار العلم للملايين.
8. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. (د.ت). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، محمد أبو الفضل إبراهيم (تحقيق). بيروت: المكتبة العصرية.

9. الشاطبي، إبراهيم بن موسى أبو إسحاق. (2007م). المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، (ط1). ثلة من المحققين (تحقيق). مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

10. ابن الصلاح (1986م).علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)، نور الدين عتر (تحقيق)، دمشق: دار الفكر.

11. عبده الراجحي (1988م).دروس في المذاهب النحوية، (ط2)، بيروت: دار النهضة العربية.

12. العقيقي (1964م).المستشرقون،(ط3)،القاهرة: دار المعارف.

13. ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن القرشي بهاء الدين. (1980م). شرح ألفية ابن مالك، (ط20). محمد محيي الدين عبد الحميد (تحقيق). القاهرة: مكتبة دار التراث.

14. العكبري، عبد الله بن الحسين البغدادي أبو البقاء (د.ت). التبيان في إعراب القرآن، علي البجاوي (تحقيق). القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

15. الفاسي (2002م)،فيض نشر الانشراح، (ط2)، محمود يوسف الفجال (تحقيق).

16. المبرد (1994م).المقتضب، (ط3)، عبدالخالق عضيمة (تحقيق)، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي.

17. الخضر حسين (1960م)،دراسات في العربية وتاريخها، دمشق: دار الفتح.

18. المكودي (1996م).شرح المكودي على ألفية ابن مالك، (ط1)، ضبطه وخرج آياته: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.

19. ابن هشـــام (د.ت).أوضـــح المســـالك إلى ألفية ابن مالك، محمد محيي الدين عبد الحميد (شرح)، بيروت: المكتبة العصرية.

20. ابن الوردي، عمر بن المظفر (2009م). تحرير الخصـاصـة في تيسـير الخلاصـة، (ط1)، عبد الله الجاموس (تحقيق)، دمشق: مكتب الجويني لتحقيق التراث.

21. يوســـف إليـان ســـركيس (1928م).معجم المطبوعـات العربيـة حتى 1339 هـ(1919م)، القاهرة: مطبعة سركيس.

22. المقالات:

23. أحمد تمام، "ابن مالك، صـــاحب الألفية"، مقال نشـــره في موقع إســـلام أون لاين:https://archive.islamonline.net/?p=9010.

24. طه الراوي، نظرة في النحو، (دمشـــق: مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد 14، العدد 10-11)

25. علي الوردي، النحو والمنطق الأرســـطوطـاليســـي، مقـال في الإنترنـت، موقع www.karim-alwaili.com/Articles/alnahw.htm)

---

(1) من هؤلاء: البدرُ ابن الناظم، وابن هشام، وابن عقيل، وأبو حيان، والمرادي، وابن الوردي، والشَّاطبي، والمكودي، والأشموني، وإبراهيم بن قيم الجوزية، وابن غازي المكناسي، والعيني، وغيرهم كثير

(2) انظر: أحمد تمام، "**ابن مالك، صاحب الألفية**"، مقال نشره في موقع إسلام أون لاين: https://archive.islamonline.net/?p=9010.

(3) غريب عبد المجيد نافع، "ألفية ابن مالك، منهجها وشروحها 2" (المدينة المنورة: **مجلة الجامعة الإسلامية**، العدد (73-74)، 2003م)، ص(3).

(4)إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي أبو إسحاق الشاطبي، أصولي حافظ من أئمة المالكية، له: الموافقات والمجالس والمقاصد الشافية في شرح الألفية وغيرها، توفي سنة 790هـ. انظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط5، 1980م) ج1 ص75.

(5) التثقيف: التسوية والتقويم، انظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1965م)، مادة (ثقف)، ج 23 ص 63.

(6) إبراهيم بن موسى أبو إسحاق الشاطبي، **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية**، عبد الرحمن سليمان العثيمين وآخرون (تحقيق)، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 2007م)، ج1، ص23-24.

(7)المرجع نفسه، ج: 5، ص 249.

(8) انظر: ابن هشام، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، شرح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية)، ص23.

(9) انظر: جلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العصرية)، ج 1 ص 131.

(10)انظر: شمس الدين محمد بن احمد الذهبي، **تاريخ الإسلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1999م)، ج 50 ص 109؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج 1 ص 130.

(11) أبو زيد، عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي، **شرح المكودي على ألفية ابن مالك**، ضبطه وخرج آياته: إبراهيم شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1996م)، ص 5.

(12) انظر: علي الوردي، **النحو والمنطق الأرسطوطاليسي**، مقال في الإنترنت، موقع (www.karim-alwaili.com/Articles/alnahw.htm

(13) بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني المصري، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، بتحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج 2، ص 592.

(14) ابن البارزي: قاض وحافظ للحديث، من أكابر الفقهاء الشافعية، له بضعة وتسعون كتابا، منها: تجريد جامع الأصول، وإظهار الفتاوى، مات بحماة سنة 738هـ، انظر: الزركلي، **الأعلام**، **ج** 8، ص73.

(15)انظر: نجيب العقيقي، **المستشرقون**، (القاهرة: دار المعارف، ط3، 1964م)، ج1 ص182، وانظر: يوسف إليان سركيس، **معجم المطبوعات العربية حتى 1339 هـ(1919م)**، (القاهرة: مطبعة سركيس، 1928م)، ج1 ص233-234.

(16) العقيقي، **المستشرقون** ج1 ص202، ج 2 ص 716؛ سركيس، **معجم المطبوعات، ج** 1 ص 234.

(17) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج 2، ص145؛ سركيس، **معجم المطبوعات**، ج 1، ص 234؛ العقيقي، **المستشرقون** ج 2، ص 716.

(18) انظر: العقيقي، **المستشرقون**، ج 2، ص 716؛ سركيس، **معجم المطبوعات** ج 1، ص 234.

(19) ممدوح عبد الرحمن، **المنظومة النحوية، دراسة تحليلية**، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 2000م)، ص 9.

(20)انظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون**، وقد كتب أحمد تمام مقالاً بعنوان "ابن مالك صاحب الألفية" في موقع (مدونات مكتوب) الإلكتروني، عَدَّد فيه كثيراً من شروح الألفية، وكذلك غريب نافع في دراسة له بعنوان "ألفية ابن مالك منهجها وشروحها"، وفيها حاول جمع أكبر عدد ممكن من الشروح والحواشي، وغيرهما كثير.

(21)انظر: غريب نافع، **ألفية ابن مالك، منهجها وشروحها**، ص 1.

(22)انظر: إسماعيل بن محمد باشا البابانى البغدادي، **هدية العارفين**، (بيروت: دار الفكر، 1982م)، ج 1، ص 465.

(23)انظر: أبو حفص عمر بن المظفر بن أبي الفوارس المعروف بابن الوردي، **تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة**، تحقيق: عبد الله الجاموس، (دمشق: مكتب الجويني لتحقيق التراث، ط1، 2009م)، وابن الوردي هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي: شاعر، أديب، مؤرخ. ولد في معرة النعمان، وولي القضاء بمنبج، وتوفي بحلب، من كتبه ديوان شعر فيه بعض نظمه ونثره، وتتمة المختصر يعرف بتاريخ ابن الوردي، وتحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة، واللباب في الإعراب، توفي سنة 749هـ، انظر الزركلي، **الأعلام**، ج 5، ص 67.

(24) محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي الحنبلي العلامة الفقيه النحوي، قرأ النحو على ابن مالك، وبرع فيه ولازمه، وكان إماماً فاضلاً عالماً، له شرح على الألفية، وآخر على الجرجانية، مات سنة 709هـ. انظر: السيوطي، **بغية الوعاة**، ج 1، ص 207.

(25) الإسنوي: محمد بن أحمد بن علي بن عمر الإسنوي، كان عالماً عاملاً بارعاً، شرح مختصر مسلم، وشرح الألفية، واختصر الشفا، مات سنة 763هـ، انظر: السيوطي، **بغية الوعاة** ج 1، ص 35.

(26) سيأتي ذكرها جميعاً بالترتيب الزمني عند الحديث عن أثر الألفية في الحركة العلمية بعدها.

(27)انظر: غريب نافع، **ألفية ابن مالك، منهجها وشروحها**، ص3.

(28) ابن بَرّي المصري: عبد الله بن برّي بن عبد الجبار أبو محمد المقدسي المصري النحوي اللغوي، كان قيما في اللغة والنحو والشواهد، له: اللباب في الرد على ابن الخشاب، وحواش على الصحيح وغيرهما، مات سنة 582هـ، انظر: السيوطي: **بغية الوعاة**، ج 2، ص 34.

[29]شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، (القاهرة: دار المعارف، ط7، 1992م)، ص310.

[30] – انظر مثلاً: جلال الدين السيوطي، **الاقتراح**، تعليق: محمود سليمان ياقوت، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 2006م)، ص89 – 99؛ سعيد الأفغاني، **في أصول النحو**، (دمشق: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1994م)، ص47 وما بعدها؛ عبدالقادر البغدادي، **خزانة الأدب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي)، ج 1، ص 9.

[31] انظر: البغدادي، **خزانة الأدب**، ج 1، ص 9 وما بعدها، وقد أيدهم البغدادي في الخزانة بعد نقله الخلاف.

[32]انظر: أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي، **فيض نشر الانشراح**، تحقيق: محمود يوسف الفجال، (ط2، 2002م)، ص 446.

[33]انظر: أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، **التذييل والتكميل**، تحقيق: حسن هنداوي، (الرياض: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 2001م)، ج 5 ص 168. ونقل المنع عنه البغدادي في **الخزانة**، ج1، ص 9، ولكن الدكتورة خديجة الحديثي في دراستها لموضوع الاستشهاد بالحديث الشريف عند النحاة تؤكد أن أبا حيان لا يمنع الاستشهاد بالحديث الشريف في النحو مطلقاً، بل كان يجيز الاستشهاد بما اتفق الرواة على نقله بلفظ واحد، أو ما تواتر فيه النقل أو تظافر النقل فيه، انظر كتابها: **موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث الشريف في النحو**، ص 364.

[34]انظر الخلاف في المسألة أيضا في: البغدادي، **خزانة الأدب**، ج 1، ص 9 وما بعدها.

[35] ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن صلاح الدين بن عثمان النصري الشهرزوري الكردي الشرخاني تقي الدين المعروف بابن الصلاح، أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال، تولى تدريس دار الحديث بدمشق، له كتاب معرفة أنواع علم الحديث المشهور بمقدمة ابن الصلاح، والفتاوى وغيرهما، توفي سنة 643هـ، انظر: الزركلي، **الأعلام** ج 4 ص 207.

[36]ابن الصلاح، **علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)**، تحقيق: نور الدين عتر، (دمشق: دار الفكر، 1986م)، ج1، ص 218.

[37] طه الراوي، **نظرة في النحو**، (دمشق: **مجلة المجمع العلمي العربي**، المجلد 14، العدد 10–11) ص 325–327.

[38] انظر: ابن الطيب: **فيض نشر الانشراح**، ص 446.

(39) انظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح وتصحيح: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، (القاهرة: مكتبة دار التراث، ط3)، ج 1، ص 88.

(40) انظر: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1988م)، فهارس الكتاب ج 5، ص 29.

(41) انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح الإمام البخاري**، تحقيق: محمد زهير الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 2001م)، كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين، ج 2، ص 100.

(42) انظر مثلا: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، **المقتضب**، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط3، 1994م)، ج 2، ص 215.

(43) انظر: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، **إعراب الحديث النبوي**، تحقيق: عبد الإله نبهان، (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط2، 1986م).

(44)انظر: السيوطي، **الاقتراح**، ص 89.

(45) انظر: الشاطبي، **المقاصد الشافية**، ج 3، ص 402.

(46)– انظر: محمد الخضر حسين، **دراسات في العربية وتاريخها**، (دمشق: دار الفتح، 1960م)، ص 168.

(47) – انظر: مسلم القشيري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: مطبعة دار إحياء الكتب العربية)، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ج 3، ص 1399، رقم الحديث: 1775.

(48)– انظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المظالم والغصب، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ج 2، ص 864؛ مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم الحديث: 2579.

(49) انظر مثلاً: نبيل محمد أبو عمشة، أثر مصنفات ابن مالك في مغني اللبيب مما لم يصرح به ابنُ هشام، (دمشق: **مجلة جامعة دمشق**، 2004م، مجلد20، عدد 3+4).

(50) – البيتان لإسحاق البهراني، شاعر عباسي، انظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، **عيون الأخبار**، كتاب العلم والبيان، الإعراب واللحن، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1996م)، ج 2، ص 157.

(51)انظر: الرضي، **شرح كافية ابن الحاجب**، ج 1، ص 223.

(52) انظر: ابن السرّاج، **الأصول في النحو**، (1996م)، ج 1، ص 62.

(53) انظر: ابن الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، (2002م)، ص 40.

(54)انظر مثلا: ابن الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، (2002م)، ص 86.

(55)انظر: ممدوح عبد الرحمن، **المنظومة النحوية**، ص 265.

(56) انظر: مباركة بنت البراء، الشعر الموريتاني الحديث من1970-1995م، دراسة نشرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق، وهي موجودة في موقع الاتحاد الإلكتروني www.awu.sy

(57) انظر: محمد جمال صقر، المنظومات النحوية العمانية بين المنظومات النحوية العربية، وهو مقال منشور في موقع اتحاد كُتّاب الانترنت العرب؛ ومن تلك المنظومات التي عدّدها صقر: منظومة سعيد بن خلفان الخليلي، المتوفى سنة 1287هـ، سمّاها مقاليد التصريف، ومنظومة عبد الله السالمي المتوفى سنة 1332هـ، وسماها بلوغ الأمل في المفردات والجمل.

(58) انظر: عبده الراجحي، **دروس في المذاهب النحوية**، (بيروت: دار النهضة العربية، ط2، 1988م)، ص 216.

(59) المرجع السابق، ص 217.

(60) انظر: سعيد الأفغاني، **من تاريخ النحو**، ص 180-181.